



جامعة  
المنصورة  
كلية الآداب

## القبايل الكردية في الدولة العثمانية من خلال رحلات مارك سايكس

إعداد

دكتور / نهاد عبد السلام عمار  
دكتوراه الفلسفة في الدراسات الآسيوية  
من قسم الحضارات الآسيوية  
معهد الدراسات والبحوث الآسيوية

مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة  
العدد الرابع و الخمسون – يناير ٢٠١٤

## القبائل الكردية في الدولة العثمانية

### من خلال رحلات مارك سايكس

د/ نهاد عبد السلام عمار

مارك سايكس Mark Sykes ( ١٨٧٩ – ١٩١٩ م )

مارك سايكس ، هذا الاسم الانجليزي ذو الوقع الخاص لدى العرب ؛ حيث يرتبط بالانتداب أو الاحتلال البريطاني للمنطقة ، بل اختياره لمسميات هذه البلدان وتحديد جغرافيتها السياسية التي مازالت قائمة حتى الآن ، فقد كان أحد أثمن وأبرز الروافد المعرفية التي أمدت الوزارات البريطانية في مطلع القرن العشرين بمعلومات حول المنطقة العربية ، واتخذت طريقها مباشرة إلى الجهات التنفيذية وصانعي السياسات ومتخذي القرار ، وكانت المحصلة النهائية لهذه المعلومات هي صياغة الاتفاقية التأميرية الاستعمارية المعروفة بـ " اتفاقية سايكس/ بيكو " .

وعلى هذا يكون مارك سايكس هو الرحالة الأهم والأشهر إلى المنطقة العربية ، والمتوج لجهود معظم هؤلاء ذوي الأغراض السياسية والاقتصادية والأيدولوجية، والامبريالية بصفة عامة .

الكولونيل مارك سايكس ، رحالة إنجليزي، ودبلوماسي وسياسي في حزب المحافظين الإنجليزي، مهتم بقضايا الشرق الأوسط .

هذا الاسم مرتبطاً باتفاقية سايكس/ بيكو ، وكان مارك سايكس يسافر في أغلب فصول الشتاء بصحبة والده إلى الشرق الأوسط، وخاصة الإمبراطورية العثمانية. وزار أيضاً دول حوض البحر الأبيض المتوسط، كما زار مصر، والهند، ودول الكاريبي، والمكسيك، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا. ولكنه كان أكثر اهتماماً بالشئون التركية.

وفي ١٨٩٧ تم تجنيده في الفرقة الثالثة من المقاومة الشعبية مع جرين هوارد

. Green Howards

تلقى مارك سايكس تعليمه في كلية بيومونت Beaumont College في وندسور Windsor ، وفي الكلية الكنسية في كامبريدج<sup>(١)</sup>، وفي سن الخامسة والعشرين نشر نحو أربعة كتب ، في الفنون والتدريبات العسكرية والرحلات : منها " دار الإسلام " عام ١٩٠٤ ، و " رحلة عبر خمس مقاطعات تركية " عام ١٩٠٠ ، ولاحقاً كتب مارك أيضاً كتاب " الميراث الأخير للخليفة " وهي قصة مختصرة للإمبراطورية العثمانية، وكان كتاباً آخر أقرب إلى فن الرحلات أكثر منه تاريخاً.

منذ عام ١٩٠٤ إلى ١٩٠٥ كان سكرتيراً برلمانياً لرئيس وزراء إيرلندا جورج ويندهام George Wyndham ، ولاحقاً عمل كملحق فخري في السفارة البريطانية لدى الدولة العثمانية في القسطنطينية/ استانبول Constantinople.

كان سايكس من كبار النبلاء ، يعيش حياة نشطة في قريته في سلمير هاوس Sledmere House ، يقوم بتربية خيول السباق ، وكان يتزعم وحدات الميليشيا- المقاومة الشعبية - كما يقوم في بلده بالتزاماته الاجتماعية.

ثم نجح سايكس في الوصول إلى البارونية والإمارة في عام ١٩١٣.

في عام ١٩١٢ كان سايكس قد انتخب كعضو في البرلمان عن حزب المحافظين، كان سايكس أيضاً صديقاً لأوبري هيربرت Aubrey Herbert، والذي كان رجلاً إنجليزياً مؤثراً بشدة في شئون الشرق الأوسط ، وتعارف مع جيرترود بيل Gertrude Bell ، مستشارة وزارة الخارجية المؤيد للعرب ، وأحد أشهر الرحالة إلى الشرق الأوسط ، عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى ، كان المقدم مارك سايكس الضابط الأمر لوحدة احتياطي ، للكتيبة الخامسة في جرين هيوارد green Howard ، على أية حال هو لم يقدم في المعركة ولم ينزل إلى الميدان، ولكنه عمل بمواهبه كضابط في مكتب اللورد كيتشنر Lord Kitchener وزير الحربية ، حيث عينه كيتشنر

(1)Mark Sykes in Venn, J. & J. A., *Alumni Cantabrigienses*, Cambridge University Press, 10 vols, 1922-1958..

كعضو بلجنة دي بينسن de Bunsen لتقديم النصائح للوزارة بخصوص شؤون الشرق الأوسط.

سايكس قد حاز على ثقته الكاملة، وقد أصبح بسرعة هو الشخص المسيطر على هذه اللجنة، وحاز بهذا التأثير الأعظم على الرأي في القضية الشرق أوسطية. وبتشجيع من سايكس تم إنشاء المكتب العربي .

كما كان سايكس هو وأتباعه ضمن المجموعة الذين استعادوا اللغة اليونانية القديمة والأسماء الرومانية في تسمية بلدان منطقة الشرق الأوسط .

وهذا مثل استعمال الأسماء الشائعة الاستخدام الآن مثل : "سوريا" اليوم، "فلسطين"، "العراق" و"بلاد ما بين النهرين". وصمم علم الثورة العربية، كما أنه هو الذي قام أيضاً بتصميم الأعلام العربية، المكونة من الألوان الأخضر والأحمر، والأسود والبيض. والاختلافات التي في تصميمه الآن هي في أعلام الأردن والعراق وسوريا وفلسطين<sup>(1)</sup>.

كانت وجهة نظر سايكس تتوافق بشكل كبير مع السياسيين البريطانيين المحافظين ، وعلى الرغم أن بريطانيا لم تكن قد دخلت في حرب مع تركيا، ولكنها احتاجت إلى إعادة النظر في هذه الأفكار. وقد كان سايكس في وسط هذه الأحداث ، حيث فصل البعض مؤازرة القضية العربية في مفاوضات ما بعد الحرب ضد تركيا ، والآخرون يرون تفضيل الدول التابعة الصديقة والتي تقع على المناطق الساحلية على طول البحر والخليج الفارسي في الطريق إلى الهند ، وبالتالي افترضوا أهمية جديدة لهذه الأقطار. ورأى الآخرون الحاجة للاحتفاظ بتركيا قوية خشية أن تدخل روسيا لتشغل الفراغ وتستولي على استانبول والمضايق .

---

(1) Easterly, William (2007-02-27). *The White Man's Burden: Why the West's Efforts to Aid the Rest Have Done So Much Ill and So Little Good*. Penguin (Non-Classics). pp. 295 .

وبطريقة معقدة كانت هذه رغبة فرنسا ، وذلك لتضمن الأراضي في الشرق الأوسط، خصوصاً في سوريا، حيث كان هناك أقلية مسيحية مهمة. وكان هذا هو الدور الخاص لسايكس لعقد اتفاقية مع حليف بريطانيا الأكثر أهمية - فرنسا - والتي كانت تتحمل الجهد الأكبر في الحرب ضد ألمانيا. ويقر الشهود والأدلة بأن سايكس كان له اليد الطولى للترويج لوعده بلفور والذي صدر في ٢ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٧م<sup>(١)</sup>. على أية حال، كتب سايكس لاحقاً رسالة إلى الملك فيصل - ملك العراق - الذي فيه أبدى وجهات النظر المعادية للسامية : "... هذا الجنس، محقر وضعيف، مشنت، وقوي جداً، ولا يُمكن وضعهم هنا"<sup>(٢)</sup>.

لقد توفي مات سايكس في غرفته في فندق لوتي Hotel Lotti في ١٦ فبراير/شباط ١٩١٩ ، عن عمر يناهز ٣٩ عاماً جراء وباء الأنفلونزا الإسباني . وتم إعادة جثته إلى مسقط رأسه في سليدمير هاوس في يوركشاير لدفنها. في عام ٢٠٠٧ ، وبعد ٨٨ سنة بعد وفاة السيد مارك سايكس ، حاول العلماء أخذ موافقة أحفاد سايكس لتشريح جثته؛ لإجراء التحاليل العلمية، وكانت هناك اعتقادات أنه من المحتمل أن جثته تحمل فيروسات حية من فيروس الأنفلونزا الأسبانية Spanish Flu . والعينات التي تم أخذها من جثته تم استعمالها في البحوث العلمية ، وذلك للسعي لتطوير علاجات ضد أوبئة الأنفلونزا في المستقبل<sup>(٣)</sup> .

(1)Balfour Declaration. (2007). In Encyclopædia Britannica. Retrieved August 12, 2007, from Encyclopedia Britannica Online. .

(2)Book review, Philip C. Wilcox, Jr., Politicalreviewnet. com/ Middle East Policy Journal, quoting 'Jews and Arabs under the British Mandate', Tom Segev, Metropolitan Books/Henry Holt & Company, New York, 2000.

(3)Body exhumed in fight against flu, BBC online, 16 September 2008. .

وربما تعيد تلك الترجمة التي قدمناها عن حياة مارك سايكس في معرفة الخلفية الأيديولوجية للرحالة والسياسي صاحب الأثر الأكبر في الجيوسياسية العربية . ورغم مؤلفات سايكس التي نشرها مبكرا بما فيها كتب الرحلات ، إلا أنها تخلو من كتاب عن رحلاته للمنطقة العربية أو العراق والمنطقة الكوردية بصفة خاصة ، والذي بين أيدينا هو مجموعة مقالات نشرها في بعض الدوريات العلمية البريطانية المتخصصة في الجغرافيا والأنثروبولوجيا ، وهي أربعة مقالات كالتالي:

**المقالة الأولى : القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية**

The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire.

ومصدرها :

The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol.38. ( Jul. - Dec., 1908 ) , pp. 451-486

**المقالة الثانية : رحلات في شمال ميزوبوتاميا**

Journeys in North Mesopotamia

ومصدرها :

The Geographical Journal, Vol. 30, No. 3 (Sep., 1907), pp. 237-254

**المقالة الثالثة : رحلات في شمال ميزوبوتاميا ( البقية )**

Journeys in North Mesopotamia (Continued)

ومصدرها :

The Geographical Journal, Vol. 30, No. 4 (Oct., 1907), pp. 384-398

**المقالة الرابعة : الانحناء الغربي لنهر الفرات**

The Western Bend of the Euphrates Author

ومصدرها :

The Geographical Journal, Vol. 34, No. 1 (Jul., 1909), pp. 61-65

**المقالات الأربعة:** تقدم مادة علمية للباحثين ، وهي على قدر كبير من الخطورة والأهمية ، وتحتاج إلى الدراسة بعناية من جهتين :

- الأولى من جهة المعلومات الأنثروبولوجية والجغرافية القيمة والخرائط التفصيلية التي تفرد بها سايكس عن القبائل الكردية .
- والثانية من جهة النتائج السياسية المترتبة على معلومات سايكس التي أمد بها الدوائر العلمية والسياسية والحربية في بريطانيا .
- مع الأخذ في الاعتبار الخلفية الثقافية والسياسية التي كان يحملها سايكس ، والتي تبرز - إلى حد ما - رؤية الرحالة والساسة الإنجليز خاصة والأوروبيين عامة للبلاد والشعوب العربية وديار الإسلام التي عناها سايكس في كتبه .
- وسوف تعتمد هذه الدراسة على المقالة الأولى منها فقط .

- Mesopotamia / بلاد ما بين النهرين / الجزيرة الفراتية

بلاد ما بين النهرين أو ( Mesopotamia ) منطقة قديمة ازدهرت فيها حضارة العالم الأولى. كانت بلاد ما بين النهرين أو كما تسمى أحياناً بلاد الرافدين، تشمل المنطقة التي تضم الآن، شرقي سوريا، وجنوب شرقي تركيا، ومعظم منطقة العراق. وامتدت هذه المنطقة من جبال طوروس شمالاً، وحتى الخليج العربي في الجنوب، ومن جبال زاغروس شرقاً، إلى بادية الشام في الغرب. ولكن قلب تلك المنطقة، كان أرضاً تمتد ما بين نهري دجلة والفرات.

- أهداف رحلات مارك سايكس :

تتضح الخلفية السياسية لرحلات مارك سايكس ، والمهمة المنوطة به من خلال مسيرة حياته الوظيفية ونشاطه السياسي ، وبالإضافة إلى الأهداف الاستراتيجية البارزة في رحلاته ؛ هناك أيضا الدافع العلمي الذي جاء مكتملا ومحفزا . وقد أشار سايكس إلى ذلك في ثنايا مقالاته ، فالمقالة الأولى من مقالاته الأربعة ( وهي أكبرها حجما ) لم تكن مجرد مذكرات رحالة، إنما أعدها سايكس كمحاضرة وألقاها على مجموعة من المهتمين بمنطقة الشرق الأوسط والعراق في الجمعية الجغرافية الملكية أو في معهد الأنثروبولوجيا الملكي البريطاني في لندن<sup>(١)</sup>.

ومنهم رحالة مشهورون زاروا المنطقة وهم :

- سير هنري تروتر sir henry trotter

- جنرال جيمز general james

- السيدة لوثيان بل miss lowthian bell

وقد كانت رحلات سايكس حلقة مهمة ضمن سلسلة الرحلات إلى منطقة الشرق الأوسط ، وهو يقول عنها: " أتمنى أن تكون خير معين لرحالة المستقبل "<sup>(٢)</sup>. ويؤكد على التواصل المعرفي والتكامل العلمي للرحالة بقوله : " لقد حاولت خلال إعدادي لهذا الكتاب أن أبسط عمل طلاب المستقبل "<sup>(٣)</sup> ، " وإنني لأشعر بالأسف الشديد لعدم تمكني من الحصول على تفاصيل عن أسماء القبائل النسبورية، ولكنني آمل أن تحصل عليها البعثة التبشيرية الإنكليزية التابعة لرئيس أساقفة كانتربري Canterbury " <sup>(٤)</sup>.

(١) Mark Sykes , Journeys in North Mesopotamia (Continued), The Geographical Journal, Vol. 30, No. 4 (Oct., 1907), pp. 394-398.

(2) Mark Sykes , The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire , The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol.38. ( Jul. - Dec., 1908 ) , p. 451

(3) Ibid, P.451.

(٤) Ibid, P.453.



وثمة دوافع أخرى حول مواصلة سايكس رحلاته الشاقة في هذه المنطقة الوعرة والخطرة ، فهو يقر أنه لم يجد الكثير عن هذا الموضوع باللغة الانجليزية حتى الآن ( ١٩٠٨ م ) ، ويعترف بفقر معلوماته السابقة عن رحلات أو معلومات حول الكرد ، وأنه لم يتمكن " من دراسة الكرد بطريقة مرجعية / ببيوجرافية " (١).

- أهمية رحلات مارك سايكس ، والجديد الذي قدمته :

ربما تكون المقالة الأولى من رحلات سايكس هي أيضا المحاولة الأولى لرسم خريطة إثنوجرافية لتوزيع القبائل الكردية في الدولة العثمانية ، بل وتقديم معلومات مفصلة عن أسماء هذه القبائل ومناطق تمركزها ، والجهات التي تنتقل إليها في المواسم المختلفة ، وغير ذلك من المعلومات .

وقد كانت الخريطة التي ضمنها في مقاله هي الأساس في ذلك ، ومعها في نهاية المقال فهرس أبجدي بأسماء القبائل ، مرقم برمز ورقم موقعها على الخريطة.

حيث قسم الخريطة إلى ستة أقاليم هي : A,B,C,D,E,F

ووضع أرقاما مسلسلة في كل إقليم منها على الخريطة ، وبالتالي يسهل العثور على أي قبيلة في الملحق وعلى الخريطة . كما يسهل الحصول على معلومات عنها داخل المقال ، حيث سار المقال على نفس المنوال من تقسيم المناطق والقبائل الكردية إلى ستة أقسام ، يضم كل قسم منها المعلومات التالية في مقدمته :

الحدود العامة للمنطقة ، سكان المنطقة ، توزيع قبائلها وعشائرها وأرقامها ورموزها على الخريطة ، صفات السكان ، أعمالهم ، أحوالهم المعيشية . ثم يورد قبائل كل قسم في تسلسل رقمي ، ويضع تحته المعلومات المتاحة عن كل قبيلة ، وهي معلومات تتفاوت قلة ووفرة ، أو دقة وظنية وفق المتاح له من مصادر .

(١) Ibid, P.451.

ثم هو يقرر في ختام مقدمته بأن هذا التقسيم " لا يمثل تصنيفاً إثنولوجياً ، وإنما هي مجرد تصنيف مناسب " (١) ، تبرز أهمية رحلات سايكس أيضا في المعلومات الجديدة الموثقة التي قدمها ، بخلاف المعلومات المغلوطة التي روج لها الرحالة السابقين . ولا نقصد بالترويج هنا أنهم تعمدوا الخطأ في إيراد المعلومات ، إنما نقصد أنهم تعجلوا الحكم على الجنس الكردي برمته بناء على معلومة أو موقف استثنائي ؛ فعمدوا إلى التعميم دون دقة أو مبرر منطقي . وهو ما قرره سايكس وأكد عليه أكثر من مرة ، فعند حديثه عن قبيلة قره كيج وصفهم بأنهم قساة ومتوحشون ، وأن سمعتهم السيئة معروفة في كل مكان ، يقول : " نتيجة لوقوعها على الطريق العام فإن ذلك قد وصم الأكراد جميعا بسمعة سيئة من جانب العديد من الرحالة " (٢) . وأضاف أنه " يوجد بين ديار بكر وطور عابدين الكثير من الكورد غير القبليين الذين لا يحملون لقباً ، والذين من الواضح أنهم منبذون من قبل عشائريهم ، ويبدو أن أسوأ هؤلاء غير المرغوب فيهم ينسبون أنفسهم إلى قبيلة قره كيج " (٣) . وعند ذكر القبائل في القسم D وسلوكهم الأخرق قال بأن الرحالة خرجوا بفكرة عامة من تلك القبائل واعتقدوا أن جميع الكرد يشبهونهم (٤) . وعكس ذلك حدث مع قبيلة سنامنلي ، فقد شاع أنهم " ودودين مع الأوربيين والغرباء ، وهذه الفكرة أدت إلى شيوع الفكرة القائلة بأن كل الشيعة أو القزلباش مثلهم ، ولكن على العكس من ذلك فأنا لي تجربة مريرة معهم " (٥) .

(١) Ibid, P.451.

(٢) Ibid, P.472.

(٣) Ibid, P.472.

(٤) Ibid, P.475.

(٥) Ibid, P.480.

وهو - في الوقت نفسه - لا يجد غضاضة في الاعتماد على معلومات الرحالة السابقين ، لاسيما فيما ليس لديه معلومات موثقة حوله ، فيقول مثلا عن قبيلة داخوي : " وأعتقد أن هذه العشيرة غير موجودة، ولكنني ذكرتها لأن الرحالة ذكروها " (١) . وقد تفرد سايكس بذكر العديد من المعلومات والأخبار الغربية عن الكرد ، فقبايل الطائفة الأولى من القسم D " توجد بينهم عادة غريبة، وهي أن نساءهم يحلقون شعر رؤوسهم على شكل قصة شعر الراهب، وجميعهم من المسلمين السنة" (٢) . ويتناول غرائب قبيلة أخرى فيقول : " تقوم نساء قبيلة الجبرانلي بحلق شعر رؤوسهن كما يفعل الرجال، أما الرجال فيرتدون الملابس الأكثر غرابية، وهي عبارة عن طراز باعة الخضراء أو الفواكه المتجولين في حي إيست إند East - End ، وتتكون هذه الملابس من : أزرار لؤلؤية الشكل ، ياقة مخملية سوداء ، بنطلونات فضفاضة فيها ثنية ساق وحزام .

ويزيد عليهم الموسرين والأثرياء ، فيرتدون قلادة وربطة عنق، ويرتدون على رأسهم طربوش ضخم أبيض من اللباد يبلغ ارتفاعه حوالي قدم واحد، ويكون منتفخ نحو الخارج مثل القلب، ويلفون حوله عمامة صغيرة جدًا من الحرير . وهؤلاء هم الكورد الوحيدون الذين رأيتهم يرتدون هذا الأزياء الغربية ، وأعتقد أن هذا الزي باستثناء الطربوش حديث .

والخاصية الفريدة الأخرى لدى الجبرانلي هي أنهم يحملون شاربين خديين - أي شاربان خديان ضيقان عن الصدغين وعريضان مستديران عند الفكين السفليين - المترجم - مشذبين ، ولهم شعر طويل . وكل هذه التركيبة الغربية تشكل أمر لا يصدق Fantastic ، ويجب أن أضيف بأنهم يشبهون الحيدرانلي كثيرًا من حيث المظهر فهم أشبه بفن الغرتسك Grotasque القبيح " (٣) .

(١) Ibid, P.473.

(٢) Ibid, P.476.

(٣) Ibid, P.477.

وننتقل من الغرائب في الشكل والمظهر إلى المعلومات المفاجئة عن هذا الشعب الجبلي فيقول عن قبيلة كورشلي : " أنهم فلاحون رائعون ويميلون كثيراً إلى التأمل الفلسفي ، وهذا الأمر ملفت جداً للانتباه ؛ خاصة وأنهم أميون " (١) .

#### - مميزات رحلات وأسلوب مارك سايكس :

وأبرزها هو حرصه على الدقة والصراحة في إيراد المعلومات وتوثيقها ، وعلى سبيل المثال عند حديثه عن قبيلة ماموند يعترف بأنه لم يحصل على أي معلومات عنها (٢) . وعند حديثه عن قبيلتي كوران و نوردي يقول بأنه لا يعرف عدد أسرهم (٣) ، وإذا أورد معلومات حصل عليها بشكل غير مباشر يستخدم التعبير ( يُقال ) معبرا به عن المعلومات الشائعة أو المتداولة (٤) ، وأحيانا لا يطمئن إلى هذه الاخبار المتداولة فيصرح بأنه " غير متأكد من هذا الأمر " (٥) .

وفي بعض الأحيان يبرر التقصير في بعض المعلومات التي يوردها قائلا " لم يتسن لي الوقت للبحث أو جمع المعلومات عنها " (٦) ، ويقول " لم أتمكن من التأكد من هذا الأمر " (٧) .

وتتضح دقته أيضا في حرصه على إزالة شبهة القرابة بين بعض القبائل أو العشائر حين تختلط الأسماء ، كما فعل عند الحديث عن عشيرة حسنكان (٨) .

كما يتميز أسلوب سايكس باعتماده على تحليل المعلومات والاستنتاج الموضوعي منها ؛ فثمة مناطق لم يتمكن من الوصول إليها ، لكنه اعتمد على بعض الكرد الذين دخلوها فأخبروه بمعلومات عنها ، ثم هو يحلل هذه المعلومات ويعقب

(١) Ibid, P.479.

(٢) Ibid, P.456.

(٣) Ibid, P.457.

(٤) Ibid, P.456.

(٥) Ibid, P.457.

(٦) Ibid, P.459.

(٧) Ibid, P.460.

(٨) Ibid, P.471.

عليها بقوله " ومن خلال الأوصاف التي أخبرني بها هؤلاء الكورد تبين لي بأن قبيلة بوتانلي هي القبيلة الأكثر قدمًا في مودكي ، أما الزيلاان المذكورين في (القسم A الأرقام 73, 32 ) قد انشقوا إلى تفرعات عشائرية في أماكن أخرى " (١) .

وفي تحليلاته المنطقية تلك يكشف بعض التصورات الخاطئة ، كما فعل مع قبيلة السنامنلي ، يقول " إن هذه الطائفة أي السنامنلي Sinaminli ، والتي أعتقد أن هناك علاقة تربطها بعشائر ملان Milan ( الأرقام من 1 HX إلى IPX من القسم C)

ولكنني أخيرًا توصلت إلى نتيجة بأن هذا الاعتقاد خاطئ، وذلك لأن الشرطة وموظفي الحكومة يعتبرونهم جميعًا أكراد قزلباش، ولكنني أميل إلى الاعتقاد بأن أفراد قبيلة السنامنلي هم في الواقع منفيون من أذربيجان " (٢) .

وسايكس لا يقطع برأي ما ، بل هو يطرحه كفرض يحتاج للدراسة والمراجعة ، يقول عن قبيلة كوجكيري " إنني أقدم هذا الرأي بتحفظ شديد لأنه نتيجة محادثات مترجمة مع موسرون أو أثرياء كبار السن " (٣) .

كما يتميز سايكس بحرصه على الوصول إلى مصادر المعلومات أو المناطق المطلوبة، وببذل في ذلك محاولات جادة ومتعددة ، يقول عن قبلية مودكي (موتكان) التي تسكن منطقة جبلية فريدة : " ورغم محاولاتي العديدة في الوصول إلى تلك المنطقة إلا أن جميع محاولاتني قد باءت بالفشل ، حيث إن أي شخص يرغب في استكشاف هذه المنطقة يجب أن يدخلها سيرًا على الأقدام، ويبدو أن القبائل المقيمة هناك من الزازا، وهم وحشيون ، ومن الصعب التحدث إليهم " (٤) .

(١) Ibid, P.466.

(٢) Ibid, P.479.

(٣) Ibid, P.480.

(٤) Ibid, P.465.

ويقول عن قبيلة ملي " وهناك غموض غريب يحيط هذا الاسم ورغم جميع محاولاتى والاستجابات الدقيقة الكثيرة التي قمت بها مع أناس مختلفون من الكورد إلا أنني لم أنجح في الحصول على تفسير مرضي " (١) .

ولكي يبين لنا حجم معاناته في الحصول على القليل من المعلومات يقول: " يروي عن الملا ن أن الزيلا ن من عرق وضيق قليل القيمة، والأمر الملفت للنظر هو أنه عند الالتقاء بأي قبيلة من أصل زيلا نى على تحولها يمكن إنكاره، وهم في ( القسم D الأرقام 6, 9, A, 9, 17 ) فإنك تجدهم أشخاص فظين وبرابرة ذوي ملامح بشعة كريمة بشكل لا تتصوره .

وقد كانت هذه الرواية مثيرة جداً للاهتمام بالنسبة لي ، أما الأمر الأكثر إثارة للاهتمام والذي يجعلني أستشيط من الغضب هي الطريقة التي يقوم فيها الملا ن بتغيير الموضوع فجأة، وتجدهم أصبحوا غامضين في الوقت الذي يسردون فيه أجزاءه المثيرة .

وسيفاجأ كل من يقرأ هذه السطور إذا علم عدد الأشهر التي قضيتها وأنا أجمع هذه المعلومات والجهد الذي بذلته فقط في جمع الفقرة الصغيرة المذكورة أعلاه " (٢) .

#### - مصادر معلومات مارك سايكس :

يقول سايكس في مقدمة المقالة الأولى : " إن المعلومات والموضوعات التي سأطرحها عليكم في الصفحات التالية هي حصيلة رحلة على ظهر الحصان بلغت ٧٥٠٠ ميل ، وبعض المحادثات التي دارت بيني وبين رجال الشرطة وسائقي البغال، وملا لى وشيوخ القبائل، ورعاة الأغنام، والمتعاملين بالخيل، وكذلك سعاة البريد وغيرهم من الأشخاص المؤهلين لمنحي معلومات صحيحة وقيمة " (٣) .

(١) Ibid, P.469.

(٢) Ibid, P.470-471.

(3) Mark Sykes , The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire , The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol.38. ( Jul. - Dec., 1908 ) , p. 451

ويضيف أيضا " كان من ضمن خدمي ممثلون من الأقسام الكوردية الثلاثة الأكثر أهمية، ولهذا فقد كان من السهل الحصول على مترجمين لتسهيل مهمتي، حيث إن الأمر يكون شاق بعض الشيء في وسط اللهجات المتعددة للرحل والجبلين المقيمين هناك " (١).

وغير هؤلاء جميعا هناك أشخاص آخرون كانوا من مصادره مثل :

- الأغا الرئيسي لقبيلة خوشناو (٢)

- الكهنة الأربعة رجال القبيلة رقم 9A (٣)

- حفيد الشيخ نصر الدين كبير أسرة عربية فاتحة تابعة للخليفة العباسي ،  
وحاصلة على فرمان ملكية بأراضي منطقتهم من السلطان سليم الأول (٤)

بالإضافة إلى الكتب والمؤلفات التي ذكرها في ثنايا مقاله مثل :

- كتاب ( تاريخ أرمنييا ) للأب Chamich (٥)

- كتاب دي جينز De Guignes الموسوم (تاريخ الهون). (٦)

وغير ذلك من المصادر غير التقليدية .

- **توصيات ومقترحات مارك سايكس :**

لأن المسألة لدى سايكس سياسية وعلمية تخدم وطنه البريطاني فقد ابتعد أسلوبه عن الشخصية في نسب الفضل والتفرد لنفسه ، فقد اعترف بالتقصير وعدم القدرة في الحصول على معلومات كافية عن منطقة ما أو قبيلة ما ، لكنه لم ينس أن يضع ضمن ملاحظاته المباشرة في تلك المواضع توصياته ومقترحاته للباحثين والرحالة في المستقبل ، كالتالي :

(2)Mark Sykes , The Kurdish , p. 451

(٢) Ibid, P.458.

(٣) Ibid, P.458.

(٤) Ibid, P.465.

(٥) Ibid, P.475.

(٦) Ibid, P. 480.

- إن هذه القبيلة (قبيلة هرتوش ارتوشي) كردية ومهمة للغاية، وربما مع بعض الأبحاث والدراسات قد يظهر أنها صلة الوصل بين كرد العراق وكورد أرمينيا. (١)
- ويبدو واضحًا أن زازا موتكان ليسو مسلمين أو مسيحيين، وأنا أقترح أن استكشاف هذه المنطقة بالكامل أمر مهم، وقد يلقي الضوء على تاريخ أرمينيا إن كان من الممكن القيام بجمع جيد للأغاني والأساطير الشعبية (٢).
- يوجد إلى الشرق من منطقة أورفة استيطان كبير للعجم الذين يتظاهرون بأنهم قبليون كورد، وأرجو من الرحالة أن يكونوا متيقظين تمامًا عند سماع المعلومات التي سيقدمونها له . ولأحيطكم علمًا فإن ذكر كلمة ( نور Nowar ) أو توجيه السؤال التالي: (هل أنت أصلك من هويك؟ Howek) سيجعلهم يخرسون تمامًا ، وربما يجعلهم يعترفون بأصلهم الحقيقي (٣).

---

(١) Ibid, P. 462.

(٢) Ibid, P. 466.

(٣) Ibid, P. 469.



## القبائل الكردية في الدولة العثمانية

### من خلال رحلات مارك سايكس

بعد أن اطلعنا على الجهود التي بذلها المؤلف في جمع هذه المعلومات من مصادرها الواقعية ، والصعاب التي واجهها ، والمفاهيم التي صححها ، والأخبار الغربية والمعلومات الجديدة التي قدمها حول الكرد سكان أكثر المناطق إثارة وغموضا في الشرق الأوسط وفق تعبير رئيس الجمعية التي ألقى أمامها سايكس محاضراته وناقشه فيها ثلثة من الرحالة<sup>(١)</sup>. وبقي لنا أن نعرض نماذج من هذه المعلومات ، ضمن السياقات التالية :

- الحدود العامة للمناطق الكردية .
- السكان وعناصرهم .
- أصولهم العرقية ، ومرجعيتها التاريخية .
- الأديان والمذاهب والمعتقدات الأخرى .
- صفاتهم الخلقية والخلقية .
- الأعمال والحرف والأنشطة التي يمارسونها .
- أحوال المرأة ومكانتها .
- اللغات واللهجات .
- الهجرات الموسمية والقسرية .

(١) Mark Sykes , Journeys in North Mesopotamia (Continued), Op. Cit, p. 394.

### - الحدود العامة للمناطق الكردية .

كانت الخريطة التي رسمها المؤلف للمناطق التي يسكنها الكرد هي الطريقة الأكثر سهولة والتي توصل إليها بعد عدة محاولات ، ليحدد عليها البقاع التي تسكنها كل قبيلة ، وقد قسم هذه المناطق على الخريطة إلى ستة أقاليم أو أقسام ، وعند كل قسم منها يذكر الحدود العامة للمنطقة ، وهي كالتالي :

القسم A " يحده من الجهة الشمالية بحيرة وان وسهل أرمينيا الواسع المرتفع، ومن الجهة الغربية يحدها نهر دجلة أما من الجنوب فيحدها سهول العراق " (١).

أما القسم B فإن " القبائل المقيمة في هذا القسم معزولة تمامًا عن القبائل الأخرى المذكورة في الفهرست، ولا يشتركون إلا في القليل ، وربما لا يشتركون في شيء ، وهناك حواجز تفصل بين هذه المنطقة وباقي المناطق الأخرى أي A, C, D, E ، وهذه الحواجز يمكن تعدادها كالاتي : مضيق أو ممر بدليس الكبير - نهر دجلة - سلسلة جبال طوروس الشرقية - أعالي الفرات " (٢).

بينما كان القسم C " في الواقع هي مقاطعة الجزيرة الشمالية القديمة التابعة لإمبراطورية خلفاء بغداد " (٣).

وليس هناك حدود يمكن تحديدها للقسم D، إذ أن " القبائل المقيمة في هذه المنطقة معقد جدًا من حيث التنظيم، ومن الصعب جدًا ترتيبها أو فهرستها " (٤). وقد تميز القسم E بأنه يقدم صورة مختلفة تمامًا عن أية منطقة أخرى في كوردستان ، وهي تقع بين نهري قزل إيرماق والفرات (٥).

(1)Mark Sykes , The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire , Op. Cit, p. 452.

(2) Ibid, P. 463.

(3) Ibid, P. 468.

(4) Ibid, P. 475.

(5) Ibid, P. 478.

وأخيرا القسم F الذي قال عنه سايكس " تقع هذه المنطقة خارج كردستان وهي تمثل هجرات قسرية عديدة للقبائل من كل أنحاء كردستان التي قام بها السلطان سليم الفاتح، ولتجديد المناطق المحتملة التي جاءوا منها . أنظر الجدول"<sup>(١)</sup>. وربما قامت بعض مظاهر السطح هذه بدور مهم في حياة القبائل الكردية سلبا وإيجابا ، أما الدور السلبي فهو قيام نهر دجلة كعائق ، إذ " لا يمكن خوض هذا النهر بسهولة، كما أنه يعرقل عملياً كل المواصلات مع المنطقة C " <sup>(٢)</sup>. وأما الدور الإيجابي فهو الحماية التي تقوم بها سلسلة جبال طوروس الشرقية <sup>(٣)</sup>.

### - السكان وعناصرهم .

بالطبع لم تكن المناطق كردية خالصة بل ضمت عناصر أخرى من السكان والأعراق ، وقد تفاوتت كثافة السكان من منطقة إلى أخرى ، كما تفاوتت العناصر الأخرى بين القلة والكثرة أيضا .

ففي القسم A الذي يمتاز بكونه منطقة كثيفة السكان ، " يبدو واضحا أن أغلبية سكان هذه المنطقة من الكورد ، إلا أننا على كل جمال لدينا عنصراً أجنبياً لا بأس به في السهول، كما أن هناك بعض القبائل التي سأذكرها لاحقاً ليست كردية الأصل، وإنما هي فروع من بعض الشعوب الأخرى التي اندمجت بالعرق الجبلي الأصلي.

ويمكننا اعتبار تلك الفروع الأجنبية أو الغير كردية مثل سكان الموصل العرب إلى ( الآراميين، والآراميين الأتقياء ) الذي يتمثلون في المسيحيين النساطرة واليعاقبة في عين كاوه وعقده وكويسنجق، والأقوام التركي في ألتون كوبري وكركوك وأربيل، والبدو والفلاحين على ضفاف نهر دجلة وفي السهول الواقعة شرقي الموصل " <sup>(٤)</sup>

(1) Ibid, P. 481.

(2) Ibid, P. 463.

(3) Ibid, P. 463.

(4) Ibid, P. 451.

أما القسم B فمن خلال وجهة نظر غير رسمية - كما يقول سايكس - فإنه ينبغي " تقسيم القبائل الكردية الموجودة في هذه المنطقة إلى خمس طوائف وهم:

الطائفة الأولى : وتضم الأرقام ١ - ١٥ وكذلك ٢٧ و ٢٩ .

الطائفة الثانية : وتضم الرقم ٢٠ والحروف الملحقة به .

الطائفة الثالثة : وتضم الأرقام 120 إلى 19 .

الطائفة الرابعة : وتضم الرقم 23 .

الطائفة الخامسة : وتضم الرقم 31 والحرف الملحقة به"<sup>(١)</sup> .

ثم يتناول عناصر الطائفة الأولى بقوله : " قبائل هذه الطائفة عبارة عن خليط من شبه الرحل والمستقرين الذين هاجروا في وقت ما من خلال ممر بدليس إلى الأراضي المتموجة الصالحة للزراعة والرعي الواقعة بين ديار بكر ودليس صو . وهناك احتمال أن يكون هؤلاء الناس جزءاً من تكل القبائل الكبيرة التي كانت تعيش في حالة تبعية لملوك أرمينيا القدامى .

وقد كانت حجتى على هذه الفكرة هي كلاً من قبيلتي ( بكران الرقم 9 ) ، ( موسك ، الرقم 1 ) المذكوران في التواريخ القيمة ، وعلى كل حال فإن قبائل السهول الجنوبية لا ترتبط بأي علاقة مع القبائل المذكورة في الطوائف الأخرى"<sup>(٢)</sup> .

وفي الأقسام المتبقية: E,D,C يسير أيضاً على نفس المنوال ، فقد قسم القبائل إلى أربعة طوائف، وذكر القبائل المندرجة تحت كل طائفة ، وأحالنا إلى الخريطة والجدول الملحقين .

لكن القسم E قسم مميز ، " فنجد أن الكورد الموجودين في هذه المنطقة مختلفين كلياً عن باقي الكورد، ولا يستطيع أي ملاحظ أن يتخيل أو يصدق أنهم ينتمون لنفس العرق الذين ينتمي إليه القبائل الموجودة في الأقسام الأخرى، كما أن

(1) Ibid, P. 463.

(2) Ibid, P. 463.

اللهجات متوافقة بشكل وثيق ، وبالرغم من أن كوردياً ، من القسم نتيجة صعوبة كبيرة في جعل نفسه مفهوماً هنا " (١) .

أما القسم الأخير F فنراه يشك أحيانا في بعض قبائله ، ويذكر أن أصلها ليس كرديا ، ويغزوها إلى التركمان ، مثل قبائل : طابور أوغلو (٢) ، حاجي بانلي (٣) ، بل امتد شكه في الأصل التركماني أيضا لبعض قبائل القسم E مثل قبيلة قره حسن (٤) .

### - أصولهم العرقية ، ومرجعيتها التاريخية .

يوضح المؤلف جانبا من حيثيات تقسيماته التي جاءت بناء على الأصول التاريخية للعناصر الكردية الأصلية ، حيث يقول " لقد أردت أن يكون هذا هو القسم الأول الذي يجب أن يبحث لأن الكورد المقيمين به هم من سلالة الكوردوني Cordueni الذين أنهكوا انسحاب كزينوفون Xenophon نتيجة لقيامهم بغارات متكررة، ولأن هذا يعتبر الظهور الأول للكورد في التاريخ " (٥).

ثم نراه يطرح الآراء المختلفة حول الأصول العرقية لبعض القبائل ويناقشها كالتالي: " وهناك مجموعتين من السكان اللتان تساورني الشكوك عندهما في هذه المنطقة وهما ( الشبك رقم 5 ) ، ( البيجوان رقم 10 ) والمسيحيون النساطرة المقيمون في حكارى والعمادية وزاخو .

إن وجود المجموعة الأخيرة أي النساطرة قد رمز إليه على الخارطة بعلامة الصليب الأسود.

والأمر المتعلق بنا إذا كان هؤلاء المسيحيون النساطرة موجودين في حكارى والذين لديهم تنظيم قبلي، من الكورد المحليين أو المسيحيين اللاجئيين أو هارينين، من فرع أرامي فهذا الأمر ما زال قيد البحث ولم أتأكد منه بعد، ويرى العديد من وجهاء

(1) Ibid, P. 478.

(2) Ibid, P. 481.

(3) Ibid, P. 482.

(4) Ibid, P. 480.

(5) Ibid, P. 451.

الكورد المتعلمين أن نساطرة حكارى هؤلاء من الكورد الذين اعتنقوا الدين المسيحيين قبل ظهور الإسلام .

أما رجال الدين المسيحيين فلا يوافقون على هذا الرأي ويختلفون معه تمامًا .  
أما أنا فأجد أن كلا الرأيين صحيحًا جزئيًا، وبأن المسيحيين عندما هربوا من الموصل والعراق لجأوا إلى المسيحيين الكورد المقيمين في حكارى .

وهذا الأمر يؤكد أن العوائل الأسقفية Episcopal ليسوا إلا قادمين جدد أي كما يرجع أصل الزعماء أو الشيوخ المسلمين الكورد إلى أمراء العرب " (١)  
ثم يقول عن الأصول العرقية والتاريخية للطائفة الأولى من القسم A: " ومن ذلك يمكنني أن أتخيل أن جيوش الفرسان العظيمة للفرثيين Partians كانوا ينحدرون من قبائل مماثلة، ويبدو ذلك واضحًا، حيث إن التطورات التي يتمتع بها جنود سوريناس Surenas وقد ورد وصفها في كتاب حياة كراسوس Life of Crusus للمؤرخ (بلوتارك) " (٢)

أما قبائل الطائفة الأولى من القسم B فيذكر أن " وهناك احتمال أن يكون هؤلاء الناس جزءًا من تكل القبائل الكبيرة التي كانت تعيش في حالة تبعية لملوك أرمينيا القدامى . وقد كانت حجتي على هذه الفكرة هي كلاً من قبيلتي ( بكران الرقم 9 ) ، (موسك ، الرقم 1 ) المذكوران في التواريخ القديمة " (٣) وربما أيد رأيه ذلك بما وصف به قبيلة ترکان ، حيث ذكر أنهم " يتعاملون بلطف مع القلة من الأرمن الذين يعيشون بينهم، ويقول هؤلاء الأرمن إنهم من عرق مشترك ، وأنهم ليسوا من الأرمن الأصليين، ومن الطبيعي ألا يشجع كهنة الأرمن وسواد الناس في ديار بكر هذه الفكرة، ولكنني حصلت عليها من شهادة كاهن وزعيم مسيحي للمنطقة " (٤)

(1) Ibid, P. 453.

(2) Ibid, P. 454.

(3) Ibid, P. 463.

(4) Ibid, P. 464.

وفي القسم C أيضا يواصل البحث عن الأصول العرقية للسكان ، فيقول عن قبيلة أبو طاهر " يقال إنهم من أصل عربي، ولكنهم يتحدثون اللغة الكرمانجية " (١) ، ويقول عن قبيلة كيكي أو كيكيه " يقول زعمائهم أنهم ينحدرون من الأمير الذي أرسله الخلفاء العباسيون ليحكم ديار ربيعة Diar Rabieh . وعندما ضعفت الخلافة العباسية بقيت هذه الأسرة ، ثم اتخذتها قبيلة كورد كيكيه أسرة حاكم لهم " (٢)

ثم يعلل رأيه ذلك بذكر مصدر معلوماته من زعماء هذه القبيلة ، فيقول " إن الأغا الرئيس لقبيلة الكيكيه هو عبد الرحمن - وقد علمت أنه رجل يجيد القراءة ، وقد قام بقدر جيد من العمل لغرض تحديد مواقع المدن القديمة على ضفاف نهر الخابور . وقد قام أيضًا بقراءة عدد محدد من كتب التاريخ ، ويقول بأن الكيكيه هم إحدى آخر بقايا السكان المستقرين في الجزيرة الفراتية ، ويعتقد أنهم قد أبعدوا إلى الشمال من قبل قبيلة شمر ، وأنهم لا يأتون إلى الجنوب إلا بغرض إظهار حقوقهم في الاستقرار في حالة إعادة إقامة أخرى للزراعة في الشطر الشمالي من الجزيرة " (٣)

أما الطائفة الرابعة والأخيرة من القسم E فيصف إحدى قبائلها - وهي قبيلة كورشلي - بأنها " هؤلاء الأشخاص مختلفون كليًا ، ومن عرق مختلف تمامًا عن القبائل السالفة الذكر " (٤)

يدعونا ذلك إلى الحديث حول ما يمكن تسميته بـ " الامتزاج العرقي " أو ما فسره المؤلف ببساطة عند حديثه عن الطائفة الأولى من القسم C فقال " تشكلت هذه الطائفة نتيجة هجرة عظيمة من منطقة درسيم في عهد السلطان سليم ، ولكن سرعان ما فقدت هذه القبائل المهاجرة خصائصها الأصلية وذلك نتيجة للمصاهرة عبر أجيال

(1) Ibid, P. 473.

(2) Ibid, P. 473.

(3) Ibid, P. 473.

(4) Ibid, P. 479.

مع السكان العرب والآراميين والكلد في المنطقة، وكذلك من خلال امتصاص العديد من القبائل المحلية " (١)

ويتابع ذلك في الحديث عن الطائفة الثانية فيقول " إذا قلت إن أفراد هذه الطائفة من الكلد فلن أكون دقيقًا ، حيث إنني أفترض أنهم أجزاء متفرقة من السكان الآراميين القدماء المختلطين مع سكان المستعمرات الإمبراطورية في زمن الرومان، ومع الكلد والفرس والترك والمغول " (٢)

وفي بعض الأحيان يكون هذا الاختلاط العرقي له نتائج سيئة ، فهؤلاء الكلد المنبوذين الذين تكونت منهم الطائفة الرابعة من القسم B هم عبارة عن " إن أهالي هذه الطائفة أي كلد الشطر الشمالي من بلاد ما بين النهرين هم عبارة عن دهماء ومنبوذين من كل كوردستان، وذلك نتيجة أفعالهم الشائنة الكريهة، حيث إنهم محتالون ولصوص ومتشردون ، كما أنهم يظلمون من هم أضعف منهم ويؤذونهم، ولا أعتقد أنهم يتمتعون بأي فضيلة قد تغفر لهم جميع هذه الخطايا فهم كسولون وجبناء وقساء، ولا يفتخرون كثيرًا بعرقهم ، وهم على ما يبدو يتظاهرون ويختلطون مع العجر والقبائل الرحل الوضيعة الأخرى" (٣)

هذا الاختلاف والتمايز العرقي ليس مختصا بالكلد وحدهم ، بل بالقبائل التي تشاركهم مناطق سكناهم عبر فترات زمنية طويلة ، حتى صعب تمييزهم عن بعض قبائل الكلد من حيث الملابس والمظهر العام ؛ فعند حديثه عن قبائل البوسكان والكوريان يقول " وقد كانوا يعيشون تحت حكم ملك مسيحي بدعي (تافت - Tavit) أو ربما داود ، وقد كان هذا الملك يقيم في قلعة ( بوسو Boso) ثم جاء شيخ يسمى ( نصر الدين) من طرف الخليفة في بغداد وقتل تافت وأدخل الإسلام في هذه القبائل .

(1) Ibid, P. 468.

(2) Ibid, P. 469.

(3) Ibid, P. 469.



وقد كان لنصر الدين أمراء وهم : زكريا Zekeria ، وصارو Saro ، وموسى. وقد قام هؤلاء الأمراء بجلب أتباعهم معهم ، وهم الذين شكلوا قبائل زكريا، وموسى، وصارو . وبعد هذا الاستقرار جاءت قبائل أخرى وهي مالاشيكو ، وبديري وجلالي مما أثر على القبائل الأولى، ودفع البوسكان والكوريان إلى الانتقال إلى الجبال الشمالية. وجميع هذه القبائل لها أرمن ملحقون بها، وقد سمعت أن هؤلاء الأرمن الذين مع البوسكان والكوريان هم نسل أتباع الملك تافت الذي ذكرته سابقاً. ولا يوجد أي تشابه بين هؤلاء الأرمن، وأرمن سهل موش أو القرويين الموجودين قرب وان، ومن الصعب تمييزهم عن لورد البوسكان والكوريان، من حيث الملبس والمظهر العام " (١)

لكن في بعض الأحيان يمكن التمييز بين القبائل المندمجة من خلال الملامح ، فالطائفة الأولى من القسم D يقولون عن أصولهم " أنهم جاءوا من ديار بكر في الأساس وكانوا في وقت ما إما مسيحيين، أو أرمن عبدة النار. وفي حالات عديدة قاموا بضم قبائل محلية إليهم مثل قبيلة جبرانلي إلا أن رجال القبائل التي دمجت مثل قبيلة بلكان يمكن تمييزهم بسهولة من خلال ملامحهم وحدها، وتوجد بينهم عادة غريبة، وهي أن نساءهم يلقون شعر رؤوسهم على شكل قصة شعر الراهب" (٢)

### - الأديان والمذاهب والمعتقدات الأخرى .

حرص سايكس على ذكر ديانة القبائل الكردية التي تناولها ، والمذهب الذي تتبعه سواء كان مذهباً إسلامياً ( سنياً - شيعياً ) أو مذهباً مسيحياً ( نسطوريا - يعقوبياً ) ، وذكر كذلك المعتقدات والأديان الوضعية الأخرى ، سواء المعروف منها

(1) Ibid, P. 465.

(2) Ibid, P. 475-476.

أو الغريب ، وفي بعض الأحيان لا يتمكن من معرفة دين او مذهب القبيلة لأسباب عدة .

فالتائفة الثالثة من القسم A يقول أنهم ليس لهم معتقد ثابت من أي نوع، ولا يهتمون كثيراً بهذه الأمور ، ولكنهم يعتبرون مسلمين .<sup>(١)</sup>

وعند الحديث عن قبيلة من نفس الطائفة ( قبيلة الشبك ) يقول " يرى البعض أنهم من الشيعة ، ويؤكد آخرون أن لهم ديانة سرية ، ويقول آخرون أنهم من البابية، ويقول آخرون بأنهم يعترفون بنبي يسمى ( بابا Baba ) " <sup>(٢)</sup>

وثمة قبائل أخرى من اليزيدية أو عبدة الشيطان ، فيقول عن قبيلة شيخان " أفراد هذه القبيلة إما أن يكونوا يزيديين أو عبدة الشيطان، ويوجد بها؟ أسرة، وجميعهم شبه رحل، ويقيمون بالقرب من شيخ عادي، والمركز الديني لليزيديين، ومكان إقامة الزعيم الديني للطائفة، وهناك أيضًا زعيم دينوي اعتاد العيش هناك، ولكنني علمت أن مكان إقامته يعد سرًا، وقد اكتسبت هذه القبيلة اسمها من الشيخ عادي، وليس هناك ما يظهر بأن لها أي رابط ماعدا رابطة الدين مع يزيديية سنجار"<sup>(٣)</sup>

ويقول عن قبيلة ريشكان : " وقد سمعت أنه يوجد بها بعض اليزيديين"<sup>(٤)</sup>

وقبيلة هاويري : " وهم إما يزيديية أو عبدة الشيطان "<sup>(٥)</sup>

لا يكتفي سايكس بذكر الأديان التي يعتنقها الكرد في الوقت الحالي ( ١٩١٤م ) بل يتطرق إلى المسار الإيماني لهم ، فيذكر الأديان والمعتقدات التي آمنوا بها في السابق ، ثم التحولات العقدية التي مروا بها ، فيقول عن الطائفة الأولى من القسم B أنها اعتادت على عبادة " على عبادة سيف منغرس في الأرض ؛ بل ويعبدون القمر والنجوم ، ثم جاء شيخ يسمى ( نصر الدين ) من طرف الخليفة في بغداد ، وأدخل

(1) Ibid, P. 455.

(2) Ibid, P. 456.

(3) Ibid, P. 459.

(4) Ibid, P. 459.

(5) Ibid, P. 459.

الإسلام في هذه القبائل " (١) ، وقبيلة شاواك الذين " تحولوا مؤخرًا إلى المذهب السني  
" (٢)

وكذلك القبائل " المرقمة بـ 11, 12, 13, 14, 16, 17 ليست من أصل عربي،  
وأنها قد قبلت الإسلام ، وغيرت أسمائها القبلية بأسماء فاتحيها" (٣)  
وأحيانا يذكر السبب التاريخي لهذا التحول ، مثل قبيلة ماظمي " حيث يقول  
أفرادها أنهم كانوا مسيحيين قبل ٣٥٠ سنة ، وخلال مجاعة الحنطة، طلبوا الإذن من  
البطريك لأكل اللحم خلال الصوم الكبير ، ولكن البطريك قابل طلبهم بالرفض  
فاتبعوا الدين الإسلامي" (٤)

وكما أسلفت القول ، لا يستطيع سايكس أحيانا تحديد ديانة بعض القبائل ،  
يقول " ويبدو واضحًا أن زازا موتكان ليسو مسلمين أو مسيحيين" (٥)  
لكنه على الجانب الآخر أيضا يبذل جهودا للتعرف على حقيقة بعض القبائل ،  
فيقول عن قبيلة درسيمني : " وجميع قبائل درسيم هي قبائل وثنية تطلق على نفسها  
اسم الشيعة، ماعدا الشاواك ( الرقم 31C - القسم B) وقد تحققت من أمر ديانتهم،  
فاكتشفت أنها عبارة عن مزيج من السحر وعبادة الطبيعة التي تكشف عن اعتقاد  
بمذهب وحدة الوجود Panthesim . وقد قابلت أحد رجال هذه المنطقة الذي حدثني  
قائلاً : ( إنني لا أعبد الله لأن الجزء لا يستطيع أن يعبد الكل ) . " (٦)  
فالطائفة الأولى من القسم E " جميع قبائل الطائفة الأولى مشهورة بكونها  
شيعية، ولكن لها معتقدات باطنية بشكل مؤكد " (٧)

(1) Ibid, P. 465.

(2) Ibid, P. 467.

(3) Ibid, P. 465.

(4) Ibid, P. 473.

(5) Ibid, P. 466.

(6) Ibid, P. 467.

(7) Ibid, P. 478-479.

وثمة طوائف تضم قبائل من أديان وعقائد شتى ، كما هو الحال في قبائل الطائفة الثانية من القسم C ، فنرى سايكس تحت عنوان "ديانتهم" يقول : " بعض هذه القبائل من المسلمين ، والبعض الآخر من المسيحيين (على المذهب اليعقوبي) والبعض الآخر من عبدة الشيطان، وهناك بعض القبائل التي تضم الديانات الثلاثة"<sup>(١)</sup> ويصل الأمر أحيانا إلى أن القبيلة الواحدة تضم أديانا وقبائل مختلفة ، فالطائفتين الثانية والثالثة من القسم C تضم قبائل يدين أفرادها بالإسلام والمسيحية واليزيدية في قبيلة واحدة مثل قبيلة ساور حيث " أفرادها عبارة عن مزيج من المسلمين والمسيحيين "<sup>(٢)</sup> وكذلك قبيلة داسكان<sup>(٣)</sup> .

يذكر سايكس في مواضع كثيرة أن ثمة تعايش سلمي ومعاملة طيبة في سلوك ومعاملات الأديان والمذاهب المختلفة في بعض المناطق ، فعند حديثه عن قبائل الطائفة الثانية من القسم A يقول " وبعض قبائل هذه الطائفة ترى أنها قد تحولت من الدين المسيحي إلى الدين الإسلامي، ولكن معظمهم يقومون ببعض العادات الوثنية، ويقوم بينهم عدد لا بأس به من العائلات اليهودية، وقد علمت أنهم يعاملونهم معاملة جيدة، ولا يسيئون إليهم أبداً، ولكنهم لا يسمحون لهم بحمل السلاح، أو التدخل في الحروب والمشاحنات، وبهذا فإن اليهود غالباً ما يخرجون في سفرات تجارية من قبيلة إلى أخرى سواء كانت تلك القبائل صديقة أو عدوة لهم.

أما المسيحيين النساطرة المقيمين بين هذه القبائل فيوجد منهم من يعيش في حالة التابع للإقطاعي، وعادة لا يملكون أراضي أو حصة منها ، أي أنهم لا يتساوون مع رجال القبائل المسلمين." <sup>(٤)</sup>

(1) Ibid, P. 469.

(2) Ibid, P. 474.

(3) Ibid, P. 474.

(4) Ibid, P. 455.

وبين التعايش السلمي وبين الصراع الذي تحركه العقيدة ، هناك انفصام واضح في شخصية بعض القبائل ، وهي التي تتعامل مع البعض بشكل ودود ، ومع البعض الآخر بشكل سيء للغاية ، يتضح ذلك مثلا لدى قبيلة ميران حيث " يشتهر عنهم أنهم ساذجون للغاية، كما أنهم فضوليون ويحبون الإطلاع على كل شيء، ولهذا تجدهم ودودين للغاية تجاه المسيحيين والأوروبيين، ولكنهم على العكس يعاملون المسلمين معاملة سيئة جدا" (١)

وربما يفسر هذا التناقض في السلوك والمعاملة مع الفئات المختلفة ؛ فبعض الطوائف " غير مولعين بالحرب ولا يحملون أسلحة ، وهم مطيعون إلى أقصى الحدود " ، ورغم ذلك " ويقول المسلمون بأنهم يغدرون بغيرهم ولا يقيمون وزناً لحياة البشر" (٢) ، ومرد ذلك إلى بعض المعتقدات الشيعية المنحرفة التي تعتبر أهل السنة كفارا يجب قتالهم . ويتضح ذلك أكثر عند قبيلة كورشلي التي صرح سايكس أنهم يبغضون المسلمين السنة رغم أنهم - كورشلي - هادئون وليسو من قطاع الطرق أو أهل السلب أو النهب(٣) .

وأحيانا نجد المؤلف يذكر تاريخ وجود بعض العقائد في المنطقة الكردية نقلا عن أصحابها ، فيقول مثلا عن الطائفة الثالثة من القسم C أنهم " حسب روايتهم الخاصة التي تقول بأنهم قد هاجروا إلى سنجار بعد الغزو التيموري ، وعلى أي حال فإنهم يعترفون بأن العقيدة الأيزيدية قد وجدت في جبال سنجار قبل ذلك التاريخ بوقت طويل " (٤)

---

(1) Ibid, P. 459.

(2) Ibid, P. 480.

(3) Ibid, P. 479.

(4) Ibid, P. 469.

وقد وجد التصوف أيضا طريقه إلى المناطق الكردية ، فقبيلة بيجوان مثلا " من أتباع حاجي بكتاش "(1) كما أن قبائل بالابرانلي (الصغيرة) ، بالابرانلي (الكبيرة) ، شادرلي (الكبيرة) من المؤمنين بوحدة الوجود(2) .

وأخيرا ، فقد أشار سايكس إلى التأثير السلوكي لبعض هذه المعتقدات الدينية في القبائل الكردية ، فيقول مثلا عن قبائل الطائفة الثالثة من القسم C أنهم " جميعهم أناس مجدون كفاء ، ويجيدون البناء بالحجر ، كما أنهم يزرعون الكروم ببراعة مذهلة ، ولكنهم أيضا عنيفيون وسفاحون وميالون للانتقام وحقودون وغادرون ، ويشيع بينهم الحركات الدينية الغريبة ، كما أن بعضهم قد اعتنق الديانة البروتستانتية الإنجيلية Evengelical Protestantism وقد تسبب ذلك في إحداث تطورات غير متوقعة" (3)

### - صفاتهم الخلقية والخلقية .

ونعني بالصفات الخلقية ما يتعلق بالملامح والمظهر العام ، أما الصفات الخلقية فنعني بها السلوك والأخلاق .

وقد اتبع سايكس نظاما في ذكر صفات الكرد ، ففي كل قسم يقسمه إلى طوائف ، ويبدأ بالحديث عن أهم صفات كل طائفة وهي الصفات المشتركة والسائدة ، ثم يسرد ما تتميز به أو تختلف فيه كل قبيلة .

وهاهو يصف الطائفة الأولى من القسم A تحت عنوان " أهم صفاتهم ط فيقول : "قد يتفوقون على غالبية الكورد من حيث الذكاء وذلك لأنهم يميلون إلى التعليم ، كما أنهم يتصرفون بأنهم رجال أعمال ذوي دهاء ونشاط . يعيش هؤلاء الكورد تحت حكم وجهاء قبيلتين وراثيين ، ولكنهم ميالون للمنازعات والعداوات ، ودائما تتشب بينهم الحروب والمشاحنات ، إن هؤلاء الكروود شبه الرحل ، الذين يعرفون بكورد ( بابا أوبان

(1) Ibid, P. 457.

(2) Ibid, P. 479.

(3) Ibid, P. 469.

( يشتهرون بفروسيتهم وشجاعتهم إلا انهم يقومون ببعض أعمال اللصوصية وهم جميعاً فرسان جيّدون وماهرون للغاية في الرماية"<sup>(١)</sup>)

ثم ينتقل إلى صفات الطائفة الثانية من القسم نفسه فيقول عنهم " تعيش هذه الطائفة تحت حكم زعما قبليين، وهم يشبهون كورد البابان، حيث إنهم في حرب مستمرة فيما بينهم، وجميع رجالهم يحملون البنادق والخناجر ، كما أنهم مقاتلون وصيادون بارعون ويتمتعون بنشاط كبير " <sup>(٢)</sup>

وفي القسم C يصف الطائفة الثالثة تحت عنوانين هما " أصلهم ومظهرهم"، "ملبسهم "

يقول تحت العنوان الأول : " إن جماعة الإيزيديين أو عبدة الشيطان الكبيرة والاتحاد القبلي في سنجار هم جميعاً من الكورد، أما من الناحية الجسمانية ، فهم كثير و الشبه بأيزيدية سنجار الكورد الدرسميين . وهم رجال ذوو أجساد صغيرة ونحيلة لدرجة أنهم يبدون كالجائعين، ولهم ملامح حادة وأنوفهم معقوفة وصغيرة، وأذقانهم مستدقة الطرف، وفكهم السفلي عريض ومسطح، وعظام خدودهم مرتفعة، ولهم عيون سوداء ضيقة الانغلاق، وشفاههم ناعمة.ويقومون بتجديل شعرهم على هيئة ست أو سبع ضفائر تتدلى على جانبي وجوههم "<sup>(٣)</sup>

ويقول تحت العنوان الثاني : " إن ملابس هذه الطائفة تختلف عن أي ملابس أخرى رأيتها، وأعتقد أنها من طراز قديم جداً، ويتكون هذا الملبس من : غطاء رأس مستدق الطرف من اللباد البني . قميص أبيض من القطن ومقطع على شكل مربع عند الرقبة ولا توجد له فتحة في الوجه . معطف من جلد الغزال أو الجلد البني الخفيف . صندل من جلد غير مدبوغ ، وحزام جلدي " <sup>(٤)</sup>

(1) Ibid, P. 453-454.

(2) Ibid, P. 455.

(3) Ibid, P. 469.

(4) Ibid, P. 469.

وأحيانا يفاجئنا سايكس بإيراد معلومات غريبة عن صفات وأحوال بعض القبائل الكردية ؛ فيحدثنا مثلا عن غرائب قبيلة الجبرانلي - إحدى قبائل الطائفة الثالثة من القسم D ، فيقول " تقوم نساء قبيلة الجبرانلي بحلق شعر رؤوسهن كما يفعل الرجال، أما الرجال فيرتدون الملابس الأكثر غرابة، وهي عبارة عن طراز باعة الخضراء أو الفواكه المتجولين في حي إيست إند East - End ، وتتكون هذه الملابس من : أزرار لؤلؤية الشكل . ياقة مخملية سوداء . بنطلونات فضفاضة فيها ثنية ساق وحزام . ويزيد عليهم الموسرين والأثرياء، فيرتدون قلادة وربطة عنق، ويرتدون على رأسهم طربوش ضخم أبيض من اللباد يبلغ ارتفاعه حوالي قدم واحد، ويكون منفتح نحو الخارج مثل القلب، ويلفون حوله عمامة صغيرة جدًا من الحرير . وهؤلاء هم الكورد الوحيدون الذين رأيتهم يرتدون هذا الأزياء الغريبة ، وأعتقد أن هذا الزي باستثناء الطربوش حديث .

والخاصية الفريدة الأخرى لدى الجبرانلي هي أنهم يحملون شاربين خديين - أي شاريان خديان ضيقان عن الصدغين وعريضان مستديران عند الفكين السفليين - المترجم - مشذيين ، ولهم شعر طويل . وكل هذه التركيبة الغريبة تشكل أمر لا يصدق Fantastic ، ويجب أن أضيف بأنهم يشبهون الحيدراني كثيرا من حيث المظهر فهم أشبه بفن الغرتسك Grotasque القبيح<sup>(١)</sup>

ولا تقتصر مفاجآت سايكس على المعلومات والصفات الغريبة من ناحية المظهر والسلوك ، إنما أيضا من ناحية الصفات الأخلاقية الحميدة التي يجد عليها الكثير من الكرد بعكس ما هو شائع عنهم ، ثم هم في الوقت ذاته يتصفون بما يتناقض مع تلك الأخلاق ، مما يجعل القارئ والمتابع في حيرة من صفات هذه النوعية المثيرة من البشر .

(1) Ibid, P. 477.



يقول عن الطائفة الأولى من قبائل القسم E : " إن كورد هذه الطائفة مستقرون بالكامل، ويقومون ببناء قرى جميلة، كما أنهم مجدون وأذكيا ومسالمون ، ولكنهم غدارون للغاية، وفي بعض الأحيان نجدهم قساة وبلا شفقة، ومن الشائع بينهم الشعر الأشقر والعيون الزرقاء، كما أن رجالها جميعًا قصار القامة، ولكنهم وسيمون ومطيعون للغاية في تصرفاتهم.

وقد التحقت بكل قبائل هذه الطائفة عوائل محددة من الرحل، وجميعهم فقراء جدًا وذوو بشرة سمراء وقبيحون بشكل مثير للغثيان، كما أنهم يدعون أنهم وساكني القرى من أصل مشترك" (١)

وأخيرا الطائفة الرابعة من هذا القسم "وهم شيعة بالكامل ، وقد تأكدت أنهم ليس لديهم أي أسرار أو طقوس وثنية، كما أنهم وسيمون ، ويمتازون بشكل جميل، ويعملون كمزارعين جيدين، وهم متعلمون أيضًا، بل وفنانون جدًا في تلوين أو زخرفة الأجزاء الداخلية من منازلهم" (٢)

وبعد ذكر الصفات السائدة والمشاركة لدى القبائل ، نجده يفرد كل قبيلة ببعض المعلومات ، وأحيانا تتوافر لديه معلومات غزيرة عن بعض القبائل فيتناول: عدد أسرهم، مواصفاتهم ، أصلهم ، أحوالهم ، وما تفرع عنهم من قبائل وعشائر، وأنشطتهم وثرواتهم ، إلى غير ذلك .

يقول عن قبيلة كوجكيري : "رجال ونساء هذه القبيلة من نوع فريد فهم ذوو بشرة داكنة مع ملامح بارزة على نحو رائع، كما أنهم لا يشبهون أي عرق كوردي آخر، أما لغتهم فتبدو مثل لهجة كوردية ، ولكن من الصعب فهمها من قبل الزازا أو الكورد البابانيين أو كرمانيجة ديار بكر .

(1) Ibid, P. 478-479.

(2) Ibid, P. 479.

أما من جهة ديانتهم فأعتقد أنهم من أتباع صيغة من المؤمنين بوحدة الوجود، وهذه الديانة تعتبر الطبيعة عنصراً أنثوياً والإله عنصراً ذكورياً إنني أقدم هذا الرأي بتحفظ شديد لأنه نتيجة محادثات مترجمة مع موسرون أو أثرياء كبار السن. إن أفراد هذه القبيلة عبارة عن فلاحين بئسون وقيمون في شبه مساكن تحت الأرض، وهذه المساكن شبيهة إلى حد ما بتلك الموجودة في سهل موش وشمال بحيرة وان . أما الأمر الأكثر غرابة هو ما يلاحظه المرء بأن الأرمن والمسلمين الذين يعيشون قرب هذه القبيلة يعيشون في قرى جيدة البناء ذات بيوت من الصخر المنحوت<sup>(١)</sup>

يستخدم سايكس معلوماته الانثروبولوجية في محاولة إيجاد أوجه التشابه أو الاختلاف بين الطوائف المتعددة للكرد ، وفي حديثه عن الطائفة الثالثة من قبائل القسم A يقول " وهم كثيرو الشبه بالطائفة الثانية أكثر من الطائفة الأولى من جهة الملبس . يميل أفراد هذه الطائفة إلى السرقة واللصوصية ، كما أنهم متعطشون للدماء، ولكنهم جبناء وعادة ما يكونون قساة .

أما نساءهم فهن قبيحات الشكل ويقومون بأعمال شاقة للغاية وعادة ما يمتطين الحمير أو البغال، وقد لاحظت أنهن غريبات الأطوار جداً في حركاتهن. كما أن قبائل هذه الطائفة يختلفون بوجه عام من حيث المظهر عن الكورد في كلتا الطائفتين السابقتين، حيث إنهم خشني العظام وضخام الأجسام، وبشرتهم داكنة اللون، وكل من يشاهدهم لا يصدق أنهم من نفس الأصل<sup>(٢)</sup>

#### - الأعمال والحرف والأنشطة التي يمارسونها .

كما تنعكس الطبيعة الجغرافية على سلوك السكان ؛ فكذلك تؤثر الأعمال والحرف والأنشطة على تصرفاتهم وأسلوبهم في الحياة ، وإذا كان الكثيرون من

(1) Ibid, P. 479-480.

(2) Ibid, P.455.

الرحالة قد وصموا الكرد بأعمال السلب والنهب واللصوصية لمجرد كونهم جبليين بعيدين عن قبضة السلطات ، أو لقيام إحدى المجموعات والعشائر الكردية بذلك الفعل فشاعت التهمة ووصمت بقية الأكراد ، لكن عند استعراض سايكس للأعمال والحرف والأنشطة التي تمارسها القبائل الكردية وجدنا الكثير منها يمارسون أعمالاً دائمة ، سواء الرحل منهم والمستقرون ، بل هم ماهرون في أعمالهم ، وأثرياء .

فالتائفة الأولى من قبائل القسم A "عادة ما يكونون رعاة أغنياء ، ويقومون بزراعة الأرض بغرض المساعدة أو للاحتياط فقط . ولكنهم في معظم الأحيان يستخدمون عمال غرباء للقيام بالزراعة ونقل المحاصيل التي يتم إنتاجها بهذه الطريقة .

كما أنهم يتمتعون بخبرة كبيرة في أعمال الحدادة والحياكة وصناعة الخيام؛ حتى أنهم قد يتفوقون على غالبية الكورد من حيث الذكاء وذلك لأنهم يميلون إلى التعليم، كما أنهم يتصفون بأنهم رجال أعمال ذوي دهاء ونشاط" (١)

والتائفة الثانية أيضا "يعمل أفرادها في الزراعة ؛ بل وهم مجدود في ذلك حيث يزرعون كل الأراضي التي تتوفر لديهم والتي تقع بجوار قراهم، ولديهم مقدرة كبيرة على تحويل جداول المياه وبناء السدود عليها، وحفر القنوات وصرف المياه بغرض ري حقولهم المنحدرة ( أو المزروعة على شكل مصاطب ) في أطراف قراهم. وتنتج هذه الحقول محاصيل الشعير والحنطة والذرة والأرز، هذا بخلاف إنتاج التبغ الفائق الجودة" (٢)

أما الطائفة الثالثة فجزء منها جزء من هذه الطائفة "يعملون في الزراعة، وجزء يعمل في رعي الأغنام والجزء الآخر يعملون كمتاجرين بالخيول" (٣) ويشير إلى إحدى القبائل هذه الطائفة - وهي قبيلة شيخان - فيقول عنها :

(1) Ibid, P.453.

(2) Ibid, P.454-455.

(3) Ibid, P. 455.

وكذلك قبيلة دزة الذين يقومون " بصناعة ويقومون بصنع بنادق من طراز  
مارتيني - هنري Martini - Henery".<sup>(١)</sup>  
وقبيلة هماوند " وتعتبر من أشجع وأذكى قبائل بابان الكوردية وأكثرها بسالة،  
حيث أنهم فرسان بارعون، ويطلقون النار بمهارة ؛ بل وحدادون أكفاء، حتى أنهم  
لصوص جسورين ومزارعون جيّدون . وبمجرد دخولهم إلى الخدمة الحكومية يظهرون  
أنهم موظفين كفاء، ويذكر أنه في عام ١٨٧٨ قام ٦٠ من فرسان الهماوند المسلحين  
بالرماح فقط بالتغلغل إلى القفقاس، وعادوا محملين بغنائم لا حصر لها ورغم كل  
المحاولات التي أبدتها الحكومة التركية في السنوات الأخيرة لقمع قوة هذه القبيلة إلا  
أنهم لا يزالون مشهورون بشجاعتهم ونكاتهم "<sup>(٢)</sup>  
وعشيرة كافادان يقومون بتربية الخيول مما يجعلهم أثرياء"<sup>(٣)</sup>  
قبيلة عباسانلي يعملون في صنع السجاد الرائع الذي يتمتع بالتعدد الكبير من  
حيث التصميم وجودة الحياكة<sup>(٤)</sup>  
وليست الصورة الكردية دائما جيدة ؛ فهناك قبائل وعشائر ليس لديهم أي فكرة  
عن القابلية أو القدرة سواء في الحرب أو في الزراعة<sup>(٥)</sup>  
كما أن سلوكهم أخرق بشكل لا يتصوره أحد، وقد خرج الرحالة بفكرة عامة من  
هؤلاء القبائل وأعتقد أن جميع الكورد يشبهونهم  
حتى ذوي المظهر الهادئ ، إذا يقول سايكس " خلف هذه المظاهر الهادئة  
والأخلاق الطيبة تكمن روح وحشية غريبة لم ألاحظها بين أي كورد آخرين "  
وقبيلة شادرلي الكبيرة ، يعيشون في بيوت تحت الأرض كما أنهم مزارعون  
فقراء للغاية

(1) Ibid, P. 459.

(2) Ibid, P. 457.

(3) Ibid, P. 462.

(4) Ibid, P. 468.

(5) Ibid, P. 475.

وقبيلة كوجكيري التي يقول عنها : " إن أفراد هذه القبيلة عبارة عن فلاحين بأئسون و يقيمون في شبه مساكن تحت الأرض، وهذه المساكن شبيهة إلى حد ما بتلك الموجودة في سهل موش وشمال بحيرة وان" (١)

### - أحوال المرأة ومكانتها .

حرص سايكس في الكثير من مواضع مقاله على إيضاح أحوال المرأة ومكانتها لدى الكرد ، وذلك ضمن المقدمات التي يكتبها في كل قسم حول خصائص كل طائفة وأحوالها وصفاتها وأعمالها .

فيقول عن من القسم A " نساءهم جميلات بشكل أخاذ ويتمتعون بمقدار كبير من الحرية، حتى أن معظم نساءهم ماهرون في ركوب الخيل والرماية لدرجة تجعلهم منافسون للرجال ولكنهن لا يقمن بأي عمل يدوي أكثر من صنع الزيد وأداء الواجبات البيتية العادية" (٢)

والمرأة في قبائل الطائفة الثانية " أما نساءهم فيختلفون عن نساء كور البابان، حيث إنهم لا يرتدون الحجاب ويعاملون معاملة حسنة" (٣)

وفي الطائفة الثالثة " نساءهم فهن قبيحات الشكل ويقومون بأعمال شاقة للغاية وعادة ما يمتطين الحمير أو البغال، وقد لاحظت أنهن غريبات الأطوار جدًا في حركاتهن" (٤)

ولا يكتفي بذكر الصفات العامة للمرأة وأحوالها لدى الأقسام والطوائف ، بل يتطرق لهذا الموضوع كلما توافرت لديه معلومات أو لفت نظره وضع مميز للمرأة في قبيلة ما .

(1) Ibid, P. 480.

(2) Ibid, P. 454.

(3) Ibid, P. 455.

(4) Ibid, P. 455.

فيتحدث مثلا عن قبيلة دزة قائلا : " معروف عنهم أنهم يتزوجون بحرية من نساء الجبور العرب . أما نساءهم فهن جميلات بشكل غير عادي ، ويفضون ارتداء ملابس فريدة متميزة من العمامات الزرقاء كالرجال، والثياب السوداء الثقيلة، كما أنهم لا يرتدون العمامات الزرقاء كالرجال، والثياب السوداء الثقيلة، كما أنهم لا يرتدون أي ملابس ملونة، أو أي نوع من الحلي " (١)

وأما نساء قبيلة هركي " فهن جسورات، وقويات كالرجال " قبيلة هماوند : " أما نساءهم فيشتهرن بجمالهن، ويتزوج الهماوند بحرية من العرب، ويعدون أنفسهم من أصل عربي" (٢)

قبيلة درسملي : ترتدي نساؤهم الحجاب (٣)

ما حلمي : ترتدي نساؤهن ملابس حمراء ولا يتحجبين

كورد درسيم : حجبن نساءهم (٤)

قبيلة دلي كانلي : النساء جيدات المظهر (٥)

#### - اللغات واللهجات .

اللغة واللهجة هي إحدى خصائص ومميزات كل شعب ، ويمكن من خلالها التعرف على أصله العرقي ، وكذلك تطوره الحضاري عبر اختلاطه مع الشعوب الأخرى وانفتاحه على الثقافات الأخرى من خلال تطور اللغة واللهجة وما دخلها من مفردات .

وهو ما حدث للقبائل الكردية ؛ حيث تباينت اللغات بينهم نتيجة للعوامل السابقة. ويمكننا أن نضرب أمثلة لهذه اللهجات واللغات وفق ما أورده سايكس ، كالتالي:

(1) Ibid, P. 456.

(2) Ibid, P. 457.

(3) Ibid, P. 467.

(4) Ibid, P. 470.

(5) Ibid, P. 481.

قبيلة بيجوان : ويتحدثون لغة مختلطة<sup>(١)</sup>

قبيلة هماوند : يتحدثون اللغة العربية، ولكن لغتهم الأصلية هي اللغة

الكوردية<sup>(٢)</sup>

أما قبيلة مالا شيكو والقبائل المرقمة بـ 11, 12, 13, 14, 16 : فيدعون أنفسهم عرباً، كما أنهم يتحدثون اللغة الكرمانجية والأرمنية بل ويتحدثون فيما بينهم لغة عربية هجينة وفريدة وبالكاد يمكن فهمها . إلا أنها تختلف عن اللغة العربية ، كما تختلف الفرنسية عن الإيطالي وهي أثر صعوبة في الفهم من اللغة العربية التي يتحدث بها أهالي سيرت<sup>(٣)</sup>

قبيلة بنجاري : ويتحدثون اللغة الكرمانجية<sup>(٤)</sup>

الزازا غير القبليين : يتحدثون لغة الزازا<sup>(٥)</sup>

قبيلة درسيمللي: يتحدثون التركية ، ويعلق سايكس على ذلك " لقد علمت أن

للدريسيين لهجة خاصة بهم ، ولكنها مرتبطة بشكل وثيق مع لغة الزازا " <sup>(٦)</sup>

كورد درسيم : تعلموا اللغة التركية

قبيلة قره كيج : معظم أفرادها يتحدثون لهجة الزازا . وفي مواضع أخرى نرى

سايكس يصف لهجة الزازا بأنها لغة . <sup>(٧)</sup>

قبيلة أبو طاهر: يقال إنهم من أصل عربي، ولكنهم يتحدثون اللغة الكرمانجية.

قبيلة ساور : يتحدثون اللغة العربية. <sup>(٨)</sup>

قبيلة مه حلمي: تتحدث هذه القبيلة لغة عربية رديئة

(1) Ibid, P. 457.

(2) Ibid, P. 457.

(3) Ibid, P. 465.

(4) Ibid, P. 466.

(5) Ibid, P. 466.

(6) Ibid, P. 467.

(7) Ibid, P. 472.

(8) Ibid, P. 473.

قبيلة دل مامكان : ويتكلمون لغة عربية عجيبة أو رديئة .<sup>(١)</sup>  
قبيلة مومان : ويتحدثون اللغة الكرمانجية<sup>(٢)</sup>  
وثمة لغات أخرى تختلف عن ذلك كله مثل التي تتحدثها قبيلة كوجكيري ،  
حيث يقول عنها سايكس : " لغتهم مثل لهجة كردية ، ولكن من الصعب فهمها من  
قبل الزازا أو الكورد البابانيين أو كرمانجة ديار بكر " <sup>(٣)</sup>

### - الهجرات الموسمية والقسرية .

الخريطة التي رسمها سايكس لما اعتبره مناطق وجود القبائل الكردية في الدولة العثمانية ، تشمل حدودا تضم داخلها العديد من الدول التابعة لثلاث قارات ، وأقاليم مختلفة ، والكثير منها مناطق حدودية شهدت صراعات حربية وسياسية أثرت بدورها على التركيبة السكانية نتيجة للهجرات والنزوح أ سواء كانت هذه الهجرات موسمية تبعا للطقس وبحثا عن المراعي ، أو هجرات قسرية بسبب نفي أو فرار نتيجة لعوامل أمنية أو سياسية .

يقرر سايكس من البداية أن " أغلبية سكان هذه المنطقة من الكورد ، إلا أننا على كل جمال لدينا عنصرًا أجنبيًا لا بأس به في السهول، كما أن هناك بعض القبائل التي سأذكرها لاحقًا ليست كردية الأصل، وإنما هي فروع من بعض الشعوب الأخرى التي اندمجت بالعرق الجبلي الأصلي " <sup>(٤)</sup>

ثم يذكر بعض الآراء المطروحة على الساحة الكردية حول هجرات هذه الأقوام المختلفة فيقول : " هؤلاء المسيحيون النساطرة موجودين في حكارى والذين لديهم تنظيم قبلي، من الكورد المحليين أو المسيحيين اللاجئيين أو هارين، من فرع أرامي فهذا الأمر ما زال قيد البحث ولم أتأكد منه بعد، ويرى العديد من وجهاء الكورد

(1) Ibid, P. 473.

(2) Ibid, P. 474.

(3) Ibid, P. 480.

(4) Ibid, P. 453.



المتعلمين أن نساطرة حكارى هؤلاء من الكورد الذين اعتنقوا الدين المسيحيين قبل ظهور الإسلام .

أما رجال الدين المسيحيين فلا يوافقون على هذا الرأي ويختلفون معه تمامًا .  
أما أنا فأجد أن كلا الرأيين صحيحًا جزئيًا، وبأن المسيحيين عندما هربوا من الموصل والعراق لجأوا إلى المسيحيين الكورد المقيمين في حكارى .

وهذا الأمر يؤكد أن العوائل الأسقفية Episcopal ليسوا إلا قادمين جدد أي كما يرجع أصل الزعماء أو الشيوخ المسلمين الكورد إلى أمراء العرب <sup>(١)</sup>

وفي إشارة للدوافع السياسية وراء الهجرات الكردية يتحدث سايكس عن قبائل الطائفة الأولى من القيم c قائلا : " تشكلت هذه الطائفة نتيجة هجرة عظيمة من منطقة درسيم في عهد السلطان سليم ، ولكن سرعان ما فقدت هذه القبائل المهاجرة خصائصها الأصلية وذلك نتيجة للمصاهرة عبر أجيال مع السكان العرب والآراميين والكورد في المنطقة، وكذلك من خلال امتصاص العديد من القبائل المحلية " <sup>(٢)</sup>

وقد ورد اسم السلطان سليم الأول ( ١٥١٢-١٥٢٠م) أكثر من مرة لدى سايكس مقترنا بهجرات القبائل الكردية ، وقد كان السلطان سليم أحد الفاتحين الكبار الذين عبروا الأناضول الشرقية إلى شمال العراق وبلاد فارس لضمها إلى الدولة العثمانية ، والمناطق السابقة في معظمها يسكنها الكرد .

وقد تحدث سايكس عن قبائل القسم f وهجراتهم القسرية بسبب فتوحات السلطان سلين فقال " تقع هذه المنطقة خارج كوردستان وهي تمثل هجرات قسرية عديدة للقبائل من كل أنحاء كوردستان التي قام بها السلطان سليم الفاتح " <sup>(٣)</sup>

وكذلك عشيرة شيفلي حيث " أنها قد تعرضت لهجرة قسرية في زمن السلطان سليم " <sup>(١)</sup> ، وأضاف : " التقيت ببعض الرجال من القبائل رقم ١٥ ورقم ١٧ ، وقد

(1) Ibid, P. 453.

(2) Ibid, P. 468.

(3) Ibid, P. 481.

لاحظت أنهم يرتدون زيًا مشابهًا وعمامة متماثلة ، وقد كانت هذه العمامة ملفوفة بطريقة مميزة، وقد رأيت بعض الأتراك يرتدون هذه العمامة المميزة بالقرب من أرزنجان، وقد لفت هذا الأمر انتباهي لأنني لم أشاهد هذه العمامة في مكان آخر، وعندما سألت هؤلاء الأتراك عن سبب ارتدائهم لهذه العمامة المميزة ، فأخبروني أنهم من سلالة الانكشارية الذين منحهم السلطان سليم أراضي بعد فتوحاته " (٢)

ويقول عن قبيلة شيخ بزيني : " يعيشون بالقرب من بوياباد في الأناضول، ويقولون بأنهم قد أبعدها إلى هناك على يد السلطان سليم "

وكذلك الحال مع قبائل : حاجي بانلي (٣) ، تريكان ، جانبكلي (٤) .

هذا التحليل التاريخي لهجرات بعض القبائل ربما يفيد في متابعة التطور الحضري الذي حدث لها ، سواء في أحوالها الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى الدينية والمذهبية .

وعلى سبيل المثال ، يقول عن قبيلة كردي / جردى : " وقد هاجرت هذه القبيلة من أطراف كردماتك منذ حوالي ٦٠ عامًا، وتخلو عن استخدام الخيام في الصيف، ولذا لا يمكن تمييزهم عن الجبلين المحيطين بهم جاليًا، كما أنهم أثرياء ويعملون بجد ونشاط، ورغم انتقالهم إلا أنهم ما زالوا على اتصال بالقبيلة الأم، ويقومون ببعث الهدايا إلى الزعيم في ( شكفتا سقا ) كل ربيع " (٥)

وقبيلة تاكولي : " يعتقد أفراد هذه العشيرة أي عشيرة تاكولي أنهم قد جاءوا من أرضروم قبل حوالي مائة عام، وهم مستقرون الآن " (٦)

(1) Ibid, P. 461.

(2) Ibid, P. 481.

(3) Ibid, P. 481.

(4) Ibid, P. 482.

(5) Ibid, P. 456.

(6) Ibid, P. 461.

وقبيلة حسنانلي : " تضم هذه القبيلة ٣٣٠٠ أسرة ، وهي عبارة عن قبيلة كبيرة تمتلك ١١٠ قرية من مناطق خنس ، وملاذ كرد وفارتو . وبعض أفراد هذه القبيلة من شبه الرحل، ولكنهم مؤخرًا بدأوا يتخلون تدريجيًا عن الإقامة في الخيام"<sup>(١)</sup> هذه الجملة الأخيرة تقودنا إلى الحديث عن الهجرات الموسمية أو الانتقال سعياً وراء المراعي أو الطقس المناسب في مواسم السنة . وعلى سبيل المثال ؛ فإن الطائفة الأولى من القسم A تقيم " خلال أشهر ( تشرين الأول، وتشرين الثاني، وكانون الأول، وكانوا الثاني، وشباط) في القرى الواقعة على أطراف الأرقام المؤشرة على الخارطة . أما بدءًا من شهر آذار وحتى بداية شهر حزيران فيذهبون إلى الخيام، وخلال هذه الفترة تنتقل الكثير من عائلات هذه القبيلة إلى المنطقة المسماة (وزنه Wazna ) ومعهم قطعانهم.

أما خلال أشهر الصيف أي في ( تموز ، وآب ، وأيلول ) فسواء كانوا في وزنه أو في أي مكان آخر فيقومون بطي خيامهم وبناء أكواخ أو عرائش للإقامة بها، وتكون هذه العرائش من الأغصان الخضراء . وتستمر إقامتهم بها إلى أن تزداد برودة الجو عن إقبال موسم الخريف، وعندئذ يعودون إلى قراهم "

وينطبق هذا الحال على الكثير من القبائل الكردية التي تعيش حالة البداوة ولم تستقر بعد .

كما أن بعض القبائل تضم أسرا مستقرة وأخرى من الرحل ، مثل قبيلة هركي ، يقول عنها " تضم قبيلة هركي ٣٠٠٠ أسرة ، وهي عبارة عن قبيلة كبيرة من الرحل، ولكنهم متفرقين في أماكن كثيرة " ثم يصف إحدى عشائرها وهي عشيرة حاجي بأنها " عشيرة متفرعة عن الهركية وتضم ٢٠٠ أسرة، وتعتبر هذه العشيرة هي القسم المستقر في قبيلة الهركية "<sup>(٢)</sup>

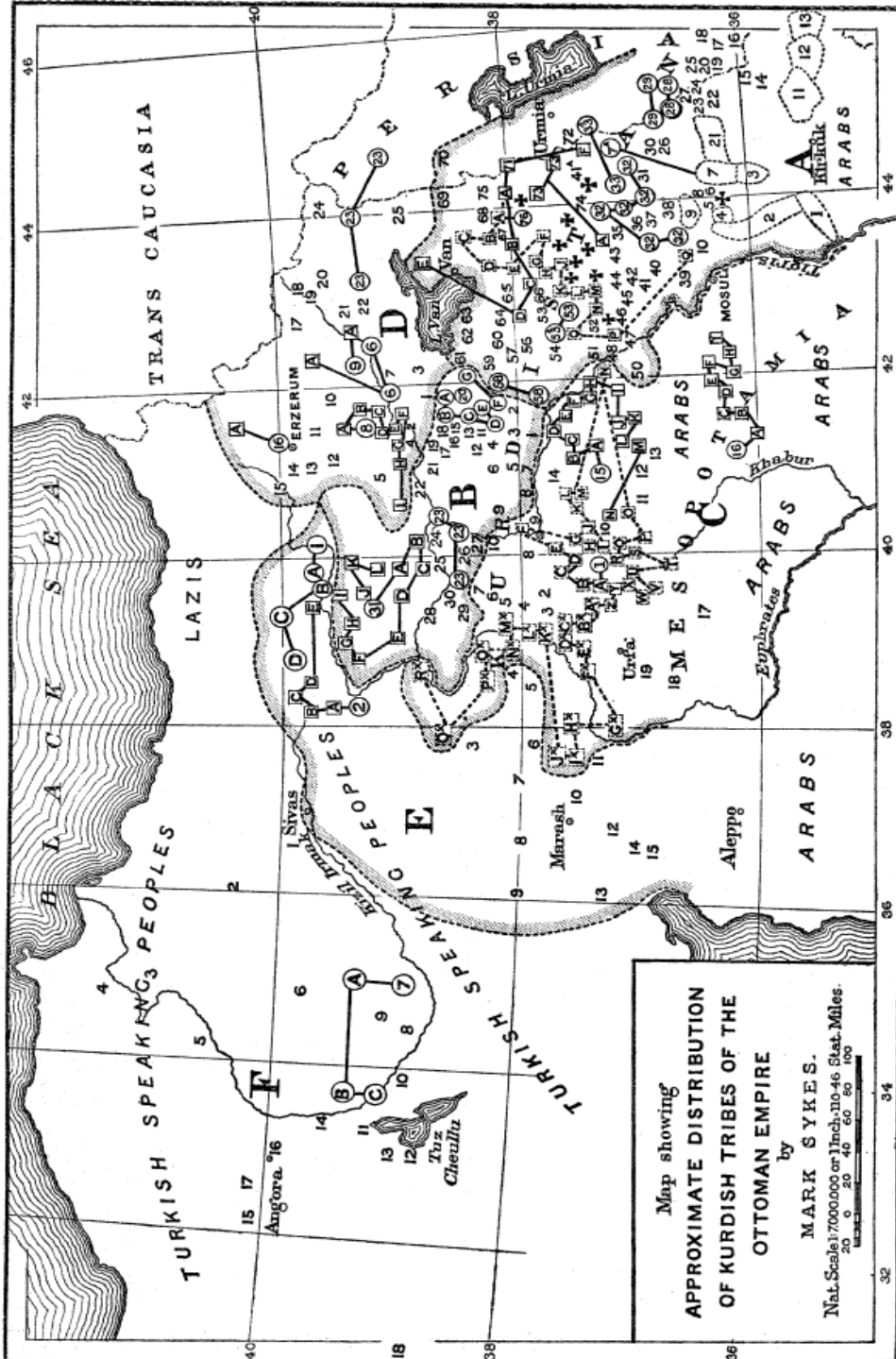
(1) Ibid, P. 476.

(2) Ibid, P. 459.

وثمة قبائل أخرى تحولت بالفعل من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار مثل قبيلة شمسكي التي وصفها بأنها " تضم هذه القبيلة ٩٠٠ أسرة، وهي قبيلة مثيرة للاهتمام، وقد كانت من الرحل فيما مضى، ولكنه الآن مستقرة " (١)

---

(1) Ibid, P. 462.



### المصادر والمراجع

- **Mark Sykes in Venn, J. & J. A.**, *Alumni Cantabrigienses*, Cambridge University Press, 10 vols, 1922–1958..
- **Easterly, William (2007-02-27)**. *The White Man's Burden: Why the West's Efforts to Aid the Rest Have Done So Much Ill and So Little Good*. Penguin (Non-Classics).
- **Balfour Declaration. (2007)**. In Encyclopædia Britannica. Retrieved August 12, 2007, from Encyclopedia Britannica Online.
- **Book review, Philip C. Wilcox, Jr.**, Politicalreviewnet. com/ Middle East Policy Journal, quoting 'Jews and Arabs under the British Mandate', Tom Segev, Metropolitan Books/Henry Holt & Company, New York, 2000.
- **Body exhumed in fight against flu, BBC** online, 16 September 2008.
- **Mark Sykes** , *Journeys in North Mesopotamia (Continued)*, The Geographical Journal, Vol. 30, No. 4 (Oct., 1907), pp. 394-398.
- **Mark Sykes** , *The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire* , The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol.38. ( Jul. - Dec., 1908 )